٢ ـ السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها

أبوها «زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدٍّ بن نُفَيْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب»، وأمها «الشموس بنت قيس» الأنصارية، من بني عدي بن النجار، وكانت تحت «السكران بن عمرو» أخي «سهيل بن عمرو» صاحب قريش ورسولها في صلح الحديبية، وبعد وفاة زوجها، خلف عليها رسول الله ﷺ، وكانت أول أزواجه بعد «خديجة» رضي الله عنها.

وقد أخرج الحافظ ابن كثير في السيرة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن «خولة بنت حكيم» امرأة «عثمان بن مظعون» رضي الله عنهما ـ أشارت على رسول الله ﷺ بزواجها، فقال رسول الله ﷺ: «**فاذكريها عليَّ**»، فذهبت إلى «سودة» وأبيها، فقالت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ فقالت: وما ذاك؟ قالت: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك لأخطبك عليه، قالت: وددت ذلك، ولكن ادخلي على أبي، واذكري له ذلك، وكان شيخاً كبيراً قد أدركته السِّنُّ ممن جلس عن الموسم.

فدخلت عليه فحيته بتحية أهل الجاهلية، فقالت: أنعم صباحك، فقال: ومن أنت؟ فقالت: «خولة»، فرحَّب بها، وقال ما شاء الله له أن يقول، ثم قالت: إن «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب» يذكر ابنتك، قال: هو كفء كريم، فما تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال: قولي له فليأتِ. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فملكها، فقدم «عبد الله بن زمعة» فوجد أخته قد تزوجها رسول الله ﷺ فحثا التراب على رأسه، فلما أسلم، قال: إني لسفيه يوم أحثو التراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ أختي»[1].

وذكر «ابن حَجَر العسقلاني» في «الإصابة»: أن «خولة بنت حكيم» قالت: أفلا أخطب عليك؟ قال: «بلى»، قال: «**فإنكن معشر النساء أرفق بذلك**»،

---

(١) انظر السمط الثمين (١٦١، ١٦٢).

فخطبت عليه «سودة بنت زمعة» و«عائشة»، فتزوجها، فبنى بسودة بمكة، و«عائشة» يومئذ بنت ست سنين حتى بنى بها بعد ذلك حين قدم المدينة[١].

وقد أخرج «محمد بن سعد» في «الطبقات الكبرى» عن ابن عباس ﷺ قال: كانت «سودة بنت زمعة» تحت «السكران بن عمرو» أخي «سهيل بن عمرو»، فرأت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطىء عنقها فأخبرت زوجها بذلك، فقال لها: ويحك، يا سودة! لئن صدقت رؤياك لأموتَنَّ وليتزوجَنَّك رسول الله ﷺ، ثم رأت في المنام في ليلة أخرى أن قمراً انقض عليها، وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها بذلك، فقال: إن صدقت رؤياك لم ألبث إلَّا يسيراً حتى أموت، وتتزوجين من بعدي «محمداً» ﷺ، واشتكى «السكران» من يومه ذلك، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات، وتزوجها رسول الله ﷺ[٢].

وكان الكرم إحدى شيم «سودة»، ومَنْقَبَةً من مناقبها الكثيرة، وقد أخرج «محمد بن سعد» في طبقاته عن محمد بن سيرين، قال: إن عمر بن الخطاب ﷺ بعث إلى «سودة بنت زمعة» بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذا؟ قالوا: دراهم، قالت: في الغِرارة مثل التمر، يا جارية! بلغيني القنع، قال: ففرقتها جميعاً[٣].

وكانت «سودة» ﷺ شديدة الاهتمام بإدخال السرور على قلب رسول الله ﷺ وإضحاكه بالشيء أحياناً، وقد روى «محمد بن سعد» في طبقاته، عن «سودة» ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! صليت خلفك البارحة، فركعت بي حتى أمسكتُ بأنفي مخافة أن يقطر الدم، قال: فضحك رسول الله ﷺ، وكانت تضحكه الأحيان بالشيء[٤].

وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس عشرة لأزواجه، وخيرهم معاملة لهن، وكان يمازحهن في بعض الأوقات ويداريهن، وقد أخرج النسائي، عن عائشة ﷺ قالت: زارتنا «سودة» يوماً، فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها، إحدى رجليه في حجري، والأخرى في حجرها فعملتُ له حريرة ـ أو خزيرة ـ فقلت:

---

(١) الإصابة (٤/ ٢٥٤٦).
(٢) الطبقات الكبرى (٨/ ٤٥).
(٣) الطبقات الكبرى (٨/ ٥٦) والإصابة (٤/ ٢٥٤٧).
(٤) الطبقات الكبرى (٨/ ٥٤) والإصابة (٤/ ٢٥٤٧).

كُلِي، فأبت، فقلت: لتأكلين أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئاً، فلطخت وجهها، فضحك رسول الله ﷺ، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها لتستعيد مني، وقال لها: «لطِّخي وجهها» فأخذتْ من القصعة شيئاً فلطخت به وجهي، فنظرت إلى رسول الله ﷺ هل يعجبه؟ فإذا هو يضحك[١].

ولئن دَلَّ هذا على شيء، فإنه يدل على إقرار رسول الله ﷺ للمزاح البريء الذي لا يلحق ضرراً ولا يعقب ضغينة، ولئن كان رسول الله ﷺ أسوة في حسن معاملته لأزواجه، فإنهن بالتالي كن قدوة للنساء ومثلاً يحتذى للضرائر. وهذا من فضل الله عليهن، ولطفه بهن، حتى لا يصدر عنهن ما يعكر صفو حياة حبيبهن ﷺ.

لقد بعث رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، رؤوفاً بهم، مشفقاً عليهم، ولم يكن متعنتاً، يُيَسِّر ولا يُعَسِّر، ويعين الناس على القيام بأوامر الله تعالى بما يرضي الله، وقد استأذنت «سودة» رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع بليل قبل أن يشتد الزحام فأذن لها.

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة ﵂ قالت: نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبيَّ ﷺ سودة، أن تدفع قبل حَطْمَة الناس ـ أي: قبل زحمتهم ـ وكانت امرأة بطيئة ـ أي: ثقيلة بادنة ـ فأَذِن لها، فدفعت قبل حَطْمَة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت «سودة» أحبُّ إليَّ من مفروح به[٢].

وفي رواية الإمام مسلم، عن القاسم، عن عائشة؛ أنها قالت: استأذنت «سودة» رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة، تدفعُ قبله، وقبل حَطْمَة الناس، وكانت امرأة ثَبِطَةً، (يقول القاسم: والثَّبِطَة: الثقيلة) قال: فأذن لها، فخرجت قبل دفعه، وحَبَسَنَا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه. ولأن أكون استأذنتُ رسول الله ﷺ كما استأذنته «سودة»، فأكون أدفع بإذنه، أحبُّ إليَّ من مفروحٍ به[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٧/ ١٨١).
(٢) صحيح البخاري (١٥٩٧) ط. د. البغا.
(٣) صحيح مسلم (٢٩٣/ ١٢٩٠).

وكانت «سودة» ﵂ شديدة الاتباع لأوامر رسول الله ﷺ، حريصة على التقيد بها، غاب أم حضر، وقد روى الإمام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «**هذه، ثم ظهورُ الحُصُرِ**».

قال: فكن كلهن يحججن إلا «زينب بنت جحش» و«سودة بنت زمعة»، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من النبي ﷺ[١].

وعن «سودة» ﵂ ـ قالت: حججت واعتمرت، فأنا أَقَرُّ في بيتي كما أمرني الله ﷻ[٢].

ولم تكن البيوت على عهد رسول الله ﷺ مجهزة بالكُنُفِ، فكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة، خرجوا من بيوتهم وأبعدوا من أجل ذلك.

وقد أخرج البخاري في صحيحه، عن عائشة ﵂ قالت: خرجت «سودة» بعدما ضرب الحجابُ لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفها، فرآها «عمر بن الخطاب» فقال: يا سودة! أما والله! ما تَخْفَيْن علينا، فانظري كيف تخرجين.

قالت: فانكفأتْ راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى، وفي يده عَرْق، فدخلتْ، فقالتْ: يا رسول الله! إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي «عمر» كذا وكذا.

قالت: فأوحى الله إليه، ثم رُفِعَ عنه، وإن العَرْق في يده ما وضعه، فقال: «**إنه قد أُذِنَ لكن أن تخرجْنَ لحاجتكن**[٣]». والعَرْقُ: عظم عليه رقائق من اللحم.

وقد ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء أن «سودة» ﵂ روت عن النبي ﷺ خمسة أحاديث منها في الصحيحين حديث واحد عند البخاري[٤].

وهَمَّ رسول الله ﷺ بطلاق «سودة» ﵂ لأنها كبرت، فسألته أن يمسكها

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم (٢٥٥٢٦).
(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٥)
(٣) صحيح البخاري (٤٥١٧) ط. د. البغا.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٩).

لأنها تبتغي أن تحشر في أزواجه، ﷺ، فأمسكها. فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٨].

قال أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: وأسنَّت ـ يعني سودة ـ عند رسول الله ﷺ، فهَمَّ بطلاقها، فقالت: لا تطلقني وأنت في حل من شأني، فإنما أود أن أحشر في زمرة أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، فأمسكها رسول الله ﷺ حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رضي الله عنهن. وفي «سودة» نزلت: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[1] [النساء، الآية: ١٢٨].

وروى «المحب الطبري» في «السمط الثمين»: عن عائشة ﵂ ـ قالت: لما كبرت «سودة» جعلت يومها ﵂ من رسول الله ﷺ لعائشة ﵂، قالت: يا رسول الله! جعلت يومي منك لعائشة.

فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة ﵂ يومين، يومها ويوم «سودة».

وفي رواية: وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعدي. أخرجاه.

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ يقسم لكل امرأة يومها وليلتها، غير أن «سودة بنت زمعة» وهبت يومها وليلتها لعائشة ﵂ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم.

والمراد بالتزويج في هذه الرواية الدخول، كما تقدم آنفاً.

وعنها ﵂ قالت: ما رأيت امرأة أحب إليَّ أن أكون في مسلاخها جلدها ـ من «سودة بنت زمعة» من امرأة منها حِدَّة، فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، قالت: يا رسول الله! جعلت يومي منك لعائشة. أخرجاه[2].

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٦٧).

(٢) السمط الثمين (١٦٣، ١٦٤).

وتابع المحب الطبري قوله: قال «أبو عمر»: نزلت الآية في «سودة»، والمشهور أنها ـ مُطْلَقَة ـ لم تخص أحداً.

عن عائشة ﵂ في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء، الآية: ١٢٨] الآية، قالت: هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها، فيريد طلاقها ويتزوج غيرها، تقول: أمسكني ولا تطلقني، ثم تزوج غيري، وأنت في حل من النفقة عليَّ والقَسْم لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء، الآية: ١٢٨]، هو الرجل يرى من امرأته ما لا يعجبه، كِبَراً أو غيره، فيريد فراقها، فتقول: أمسكني واقْسِمْ لي ما شئت، قالت: فلا بأس إذا تراضيا. أخرجاهما [١].

وروى «أبو عمر» عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂، قالت: ما من الناس أحدٌ أحب إليَّ من أن أكون في مِسْلاخه ـ جِلْدِه ـ من «سودة بنت زمعة»، إلا أن بها حِدَّة[٢].

وقال «ابن حَجَر العسقلاني» في «الإصابة»: وصَحَّ عن عائشة، قالت: ما من الناس أحد أحب إليَّ أن أكون في مِسْلاخه ـ جِلْدِه ـ من «سودة» إنْ بها إلَّا حِدَّة فيها كانت تسرع منها الفيئة[٣].

وأخرج «ابن سعد» في «الطبقات الكبرى»، من حديث عائشة ـ من طرق في بعضها: أنه بعث إليها ـ يعني سودة ـ بطلاقها، وفي بعضها أنه قال لها: «اعْتَدِّي»، والطريقان مرسلان، وفيهما: أنها قعدت له على طريقه، فناشدته أن يراجعها، وجعلت يومها وليلتها لعائشة، ففعل.

ومن طريق معمر، قال: بلغني أنها كلمته، فقالت: ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك[٤].

---

(١) السمط الثمين (١٦٤، ١٦٥).
(٢) الاستيعاب (٤/١٨٦٧).
(٣) الإصابة (٤/٢٥٤٧).
(٤) الإصابة (٤/٢٥٤٧).

وأخرج الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بسند حسن: أن «سودة» خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل. فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء، الآية: ١٢٨] (١).

وفي «جلاء الأفهام» علَّق «ابن القيم» رحمه الله على هبتها يومها لعائشة بقوله: «هذا من خواصها»، أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ تقرباً إلى رسول الله ﷺ وحُبًّا له، وإيثاراً لمقامها معه، فكان يَقْسِم لنسائه ولا يَقْسِم لها، وهي راضية بذلك، مؤثرة لرضا رسول الله ﷺ(٢).

وخرجت «سودة» رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فأطعمها رسول الله ﷺ يومئذ ثمانين وَسْقاً تمراً، وعشرين وَسْقاً شعيراً. وروى عنها ابن عباس، ويحيى بن عبد الرحمٰن بن أسعد بن زرارة.

وفي آخر خلافة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، حضرت «سودة» الوفاة في المدينة، وهذا هو المشهور، وقيل: ماتت سنة أربع وخمسين، ورجحه الواقدي، كما ذكر ابن حجر في «الإصابة»، وكان عمرها ثمانين سنة، رحمها الله تعالى.

---

(١) الترمذي (٣٠٤٠).
(٢) جلاء الأفهام (١٨٢).